عظة أحد الأرثوذكسية
في كنيسة القديس نيقولاوس
في ٢٤ آذار ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، في هذا الأحد الأول من الصوم نعيّد للإيمان المستقيم، الإيمان بالإله الذي صار إنساناً، صار مثلنا وعاش كما عشت ما عدا الخطيئة. تألم، صُلب، مات وقُبر وقام. اليوم نعيّد للإله المتجسّد، للإله الذي أحبنا حبا عظيماً وهو الخالق ليصبح مثلنا، متحداً بنا، مختبراً كل ما نختبر وكما قلت ما عدا الخطيئة. نحمل اليوم الأيقونات مكرمين لها، مكرمين أشخاصاً، محترمين الأواني المقدسة والمكان المقدس لأنه حيث يُذكر اسم الله يقدّس من ذكر والمكان الذي ذُكر فيه. واليوم نحتفل مع أخوتنا اليونانيين الساكنين ههنا في بلادنا، لأنه غداً يعيدون عيدهم الوطني. نسأل الله أن يعيده عليهم، على بلادهم وعلى الشعب هناك بالتقدم والازدهار والخير والبركة.

هذا الإنجيل الذي سمعناه اليوم، يُظهر لنا كيف أن يسوع دعا فيليبس كما سمعتم في الإنجيل بأن يسوع أراد الخروج إلى الجليل فوجد فيليبس فقال: اتبعني. في إنجيل يوحنا قبل هذه الدعوة نجد كيف أن يوحنا المعمدان عندما رأى يسوع قال لتلاميذه، ويوحنا كان له تلاميذ: هذا هو حمل الله. تلميذان تركاه وسارا خلف يسوع وسألاه أين تمكث وعرفنا كيف أن التلميذان ومنهما أندراوس مكثا عند يسوع ذلك اليوم. يوحنا أشار لتلاميذه باتباع يسوع. قادهم إلى يسوع. أما مع فيليبس يسوع نفسه هو الذي دعاه. نفهم يا أحبة، بأن هناك أناس يُدعَون من خلال تلاميذ أي هناك أشخاص يختبرون الحياة مع الرب ويستلذون بها لا بل يجدون الحياة فيها فيخبّرون، ينشرون الخبر. وهناك قوم لم تعلمهم أمهاتهم أو الآباء ولكنهم عرفوا الله معرفة مباشرة بأن الله أضاء لهم أنارهم فاكتشفوه وعرفوه.

الأولون هم أولئك الذين تعلموا عن يسوع، الأهل علموهم، الرفاق علموهم، درسوا في مكان ما عن المسيح فعرفوه وأفهموا ههنا عندما ذهب إندراوس ليقول لبطرس قد وجدنا المسيح. أفهم بأن عليّ وعلى كل إنسان يعرف المسيح أن يخبّر عنه، لأن الفرح عند المؤمن يفيض، أي الفرح الإلهي الذي ينسكب في قلبي ليس بفرح أناني. هذا الفرح الإلهي يدفعني أن أشترك به مع الآخرين. ومع فيليبس أيضاً نكتشف، هذا الذي دعاه يسوع مباشرة، حسب إنجيل يوحنا. يذهب إلى صديقه نثنائيل فقال له: إن الذي كتب عنه موسى في الناموس والذي كتب عنه الأنبياء وجدناه. عندما نتلو دستور الإيمان، أؤمن بالله الواحد، نقول ونحن نتلو كما

جاء في الكتب. البعض يشك ويقول: هل إيماننا بالمسيح يعتمد على الكتاب؟ أي لا نــؤمن إلا إذا قال الكتاب؟ لقد سمعت هذا السؤال الأسبوع الماضي، كما في الكتب. ما يريد فيليــبس أن يقول بأن الكتب المقدسة، بأن الأسفار المقدسة في العهد القديم تكلمت عن يسوع، تكلمت عمن سيأتي وأتى. أي الله خبرنا بواسطة أنبيائه بأن المسيح سيأتي، وبالنسبة لنا قد أتى وبالنســبة لفيليبس قد وجده.

في التثنية، الكتاب الخامس من التورات، يقول موسى: يقيم لكم الرب إلهكم نبيا مــن بينكم، من أخوتكم، فاسمعوا له. سأقيم لهم نبيا من بين أخوتهم مثلك يقول الرب لموسى وألقي كلامي في فمه، فينقل إليهم جميع ما أكلمه به. وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أحاسبه عليه. أشعياء بصلاة النوم الكبرى، لأنه يولد لنا ولد ويُعطى لنا ابن وتكون الئاسة على كتفه. أشعياء يتكلم عن المسيح. حزقيا النبي: وأقيم عليها راعيا واحدا ليرعاها كعبــد داوود، فهو يرعاها ويكون لها راعياً صالحاً وأنا الرب أكون إلهاً ويكون الراعي الذي كعبد داوود لها رئيساً. أرمياء يقول: في تلك الأيام، أُنبت من أصل داوود غصناً صالحاً فيحكم بالعدل والحق في الأرض. زكريا، لا أريد أن أطيل عليكم ولكن تجدون كل هذه النبوءات، كل هذه الأقوال في صموئيل، في أخبار الأيام، في نيخا كما تسمعون، لكن يا بيت لحم أفراثا لست الصــغرى في مدن يهوذا، منك يخرج سيد على بني إسرائيل يكون منذ القديم، منذ أيام الأزل.

داوود لم يكن منذ الأزل. نيخا يتنبأ عن المسيح. يوحنا في الإصحاح الخامس، يقــول لنا بأن يسوع يتوجه إلى الفريسيين ويقول تفحصون الكتب المقدسة حازمين أن لكم فيها الحياة الأبدية، هي تشهد لي. كل الكتب المقدسة هي تشهد لي. فيليبس يقول لنثنائيل بأننا وجدا الذي كنا نقرأ عنه في التورات، في كتب موسى وفي الأنبياء، قد وجدناه. هو يسوع ابن يوسف من الناصرة. لماذا قال الإنجيلي يوحنا هذا القول بأن يسوع ابن يوسف من الناصرة، ليؤكد لنا بأن يسوع المسيح الذي سيعترف به نثنائيل بأنه ملك. سيعترف به إلهاً. يقول بأن يسوع هو إنسان أيضاً. الناس كانوا يعتبرون بأن يوسف كان أب يسوع ولذا قال يوحنا بأن يسوع ابن يوســف ولكنكم كما تعلمون، يوسف كان خطيب مريم ولكن الله الآب كان الوالد.

الذي من الناصرة، كان إنسان ينتمي إلى مكان، إلى أهل. فإذاً كان إنسان حق. وهذا إيماننا بأن يسوع هو الإله المتجسد لأنكم سمعتم بعدئذ بأنه قال ليسوع أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل. عندما سمع نثنائيل قول فيليبس قال له لم أسمع في الكتاب المقدس عن الناصرة وبأن منها يخرج نبيّ وهكذا قال الفريسيون فيما بعد في إنجيل يوحنا. لم يخرج من الناصرة. قالوا لنيقوديموس الذي أتى إليه ليلاً: اذهب واقرأ. هل أتى نبي من الناصرة. فقال له فيليبس: أحترم رأيك، أفهم تفتيشك ولكن الله لا تعرفه في الكتب بل بالحياة معه. تعال وتذوّق وانظر ما أطيب الرب.

مهما تكلمت أنا عن صديق طيب، عن إنسان صالح، لا يمكنك أن تعرفه حق المعرفة إلا إذا عاشرته أنت وطالبته أي إلا إذا أتبيت إليه وواجهته. الله هو هذا الكائن الذي لا يُعرف من الكتب. الكتب تشير إليه. لكن الله لا يُعرف إلا كما يتذوق الطعام الطيب. لذا النبي داوود قال، ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. وما أردت أن أقول ههنا بأن نثنائيل كان يقرأ وقد قال له يسوه بأنك كنت تحت التينة ورأيتك أنا. ويُقال بحسب التعليم اليهودي بأن المعلمين الرباي كانوا يقرأون الكتاب المقدس تحت التينة وكأن هذا القول إشارة بأن نثنائيل كان إنساناً يقرأ الكتاب ويريد ان يعرف الله وأن ينتظر المسيح. ولذا يسوع قال له: لا آبه انا إذا كنت تشك فيّ أم لم تشك، إنني أحترم صدقك وإرادتك الحقة بأنك تريد أن تعرفني ولذا أنت لست بماكر ولا بخبيث ولا بكاذب. أنت إسرائيلي حق لأن كل الفريسيين والكتبة وإن ادعوا أنهم من آل إسرائيل، لا يعرفوا الإسرائيل الحق الذي يطلب الله. أجاب يسوع وقال له: قبل أن يدعوك فيليبس وأنت تحت التينة رأيتك. أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له: لأني قلت لك بأني رأيتك تحت التينة آمنت.

الإنسان يهتم كثيراً للعجائب. الإنسان بالحقيقة لا يحب حباً صادقا. يبقى على مستوى الخطيئة. تعرفون بأن المحبة مجانية. أي إنسان مع الآخر، إذا كان من البشر الطبيعيين العاديين الذين لا يعرفوا الله، يبادل الحب. إذا أحببتني أحببتك. ولكن الله وتلاميذه يحبون إن أحببتهم أو لم تحبهم وكأن العجائب نريدها من الله علامات، براهين بأنه يحبنا. أي أننا لا نحب الله إلا إذا برهن لنا بأنه سيفعل العجائب. لهذا السبب قال يسوع إلى ثنائيل: أنت سوف لا ترى أعجوبة واحدة، ستصبح أنت أعجوبة، أنت ستصبح إنساناً آخر، يضيء منك النور. ستصبح من أولئك الذين ينزل عليهم الملائكة ويصعدون. أي أنت ستكون مقراً لي أي حيثما يسكن المسيح تسكن الملائكة. أنت لي، ستصبح باباً للسماء للآخرين. بمعرفتك إياي أجعلك اليوم بواسطتي بابا يدخل فيه أو بواسطة الآخرون إلى السماء.

خلاصة هذا الإنجيل يا أحبة، فيما يختصّ بهذا اليوم، بأن يسوع ابن يوسف الذي هو من الناصرة، هو إنسان ولكنه في الوقت نفسه هو ابن الله وهو ملك إسرائيل والمعنى هو ملك إسرائيل لم يقل ملك اليهود بل ملك إسرائيل أي جميع الذين هم صارعوا نفوسهم والشيطان والملائكة ليحصلوا على الملكوت كما فعل يعقوب الذي سمّي إسرائيل. يعقوب الذي أتوا منه الأصبار. فهنا يا أحبة نتعلم بأننا لا نستطيع أن نكتشف الله من الكتب وحسب. علينا أن نأتي إليه ونعرفه ونعاشره ونتذوّقه، وحينذاك نصبح إلهيين. نصبح بشراً سماويين.

لماذا وُضع هذا في بدء الصوم، لأن الصوم هو من الوسائل التي بها نتحرر مما هو أرضي أي مادي أي ملتصق بالخطيئة لنصبح سماويين، إلهيين كما كنا مع الله في البدء، في الفردوس. آمين.